

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[30] إِنْ إِنْ عَهْدِ إِنْ إِنْ أَلَا نُوْمِنُ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانَ تَأْكُلُهُ الذَّارَ). قَالَ الْمَفْسُورُونَ: إِنْ الْيَهُودُ كَانَتْ تَزْعُمُ أَنََّّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِلْأَنْبِيَاءِ خُصُوصٌ هَذِهِ الْمَعْجِزَةُ، وَهِيَ أَنْ يَقْرَبُوا قُرْبَانًا فَتَنْزِلَ الذَّارُ مِنَ السَّمَاءِ وَتَأْكُلَ قُرْبَانَهُمْ، فَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى صِدْقِ الْمُقْرَبِ (أَي صَاحِبِ الْقُرْبَانِ). وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا صَادِقِينَ فِي هَذَا الطَّلَبِ، وَكَانُوا يَرِيدُونَ - حَقًّا - مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَابِ إِظْهَارِ الْإِعْجَازِ، وَلَيْسَ مِنْ بَابِ الْعِنَادِ وَاللَّجَاجَةِ وَالْمِغَالَطَةِ لَكَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ إِعْذَارَهُمْ، وَلَكِنْ تَارِيخُهُمُ الْغَابِرُ، وَكَذَا مَوَاقِفُهُمُ الْمَشِينَةُ مَعَ نَبِيِّ الْإِسْلَامِ (صَلَّى إِنْ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) تَثْبُتُ الْحَقِيقَةَ التَّالِيَةَ، وَهِيَ أَنََّّهُمْ لَمْ يَكُونُوا أَوَّلًا طُلَّابًا حَقًّا وَبِغَاةَ عِلْمٍ، بَلْ كَانُوا يَأْتُونَ كُلَّ يَوْمٍ بِمِغَالَطَةٍ وَاقْتِرَاحٍ جَدِيدٍ لِمُوَاجَهَةِ الْجَوِّ الصَّاعِطِ عَلَيْهِمْ، وَمَا كَانَ يَخْلُقُهُ الْقُرْآنُ مِنْ وَضْعِ مَحْرَجٍ لَهُمْ بِفَضْلِ مَا كَانَ يَقِيمُهُ مِنْ بَرَاهِينٍ سَاطِعَةٍ وَقَوِيَّةٍ، وَذَلِكَ فِرَارًا مِنْ قَبُولِ الْإِسْلَامِ، وَالْإِنْصِوَاءِ تَحْتَ رَأْيَتِهِ، وَحَتَّى لَوْ أَنََّّهُمْ حَصَلُوا عَلَى مَقْتِرِحَاتِهِمْ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَمْتَنِعُونَ عَنِ الْإِيمَانِ، بِدَلِيلِ أَنََّّهُمْ كَانُوا قَدْ قَرَأُوا فِي كُتُبِهِمْ كُلِّ عِلْمٍ نَبِيِّ الْإِسْلَامِ (صَلَّى إِنْ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وَلَكِنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ أَبَوْا إِلَّا رَفْضَ الْحَقِّ، وَعَدَمَ الْإِذْعَانَ لَهُ. يَقُولُ الْقُرْآنُ فِي مَقَامِ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ: (قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قِبَلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)؟ وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى زَكْرِيَا وَيَحْيَى وَطَائِفَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ قَتَلُوا عَلَى أَيْدِي بَنِي إِسْرَائِيلَ. هَذَا وَيَذْهَبُ بَعْضُ مَتَأَخَّرِي الْمَفْسُورِينَ (مِثْلُ كَاتِبِ تَفْسِيرِ الْمَنَارِ) إِلَى إِحْتِمَالِ آخَرَ حَوْلَ مَسْأَلَةِ الْقُرْبَانِ خِلَاصَتَهُ: إِنْ مَقْصُودُهُمْ لَمْ يَكُنْ إِنْ عَلَى النَّبِيِّ أَنْ يَذْبَحَ قُرْبَانًا وَتَنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ نَارٌ بِطَرِيقَةٍ إِعْجَازِيَّةٍ وَتَحْرِقَ ذَلِكَ الْقُرْبَانَ، بَلْ كَانَ مَرَادُهُمْ هُوَ أَنََّّهُ كَانَ فِي تَعَالِيمِ دِينِهِمْ نَوْعٌ مِنْ هَذَا الْقُرْبَانِ الَّذِي يَذْبَحُ بِطَرِيقَةٍ خَاصَّةٍ وَفِي مَرَاثِمٍ مَعِينَةٍ، ثُمَّ يَحْرِقُ بِالذَّارِ وَهُوَ مَا جَاءَ شَرْحُهُ فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ مِنْ سَفَرِ "الْأَلَوِيِّينَ" مِنَ التَّوْرَةِ (العهد القديم).